

الأقليات الذمية في الجزائر وموقفها من الثورة التحريرية 1954-1962
"الأقلية اليهودية أنموذجاً"

Religious minorities in Algeria and their position on the liberation revolution 1954-1962.

"The Jewish Minority as a Model"

د / محمد محمد

جامعة المسيلة (الجزائر)

e-mail mohamedbba1902@gmail.com

المؤلف المرسل : محمد محمد

تاريخ النشر : 2021/09/20

تاريخ القبول : 2021/09/04

تاريخ الإرسال : 2018/06/11

ملخص:

يعالج هذا المقال الذي بين أيدينا، أحد أهم القضايا السياسية والاجتماعية في تاريخ الجزائر في الفترة الحديثة والمعاصرة، إن لم نقل في التاريخ الجزائري كله، من خلال تسليط الضوء على واحدة من بين الأقليات الدينية التي استقرت بالجزائر منذ القدم، وعاشت بين أهل الجزائر وذويها في أمن وسلام، لتزدهر مكانتها وتتوسع مع وصول المسلمين الفاتحين إليها في القرن السابع للميلاد، وحتى حضور الأتراك العثمانيين الذين تمكنوا من إعادة بعث الدولة الإسلامية المتسامحة فيها من جديد بعد حملات التحرشات المسيحية الإسبانية، ما مكن من بروز إقتصادي وتجاري كبير لها خلال هذه الفترة، هذه المكانة الإقتصادية- السياسية كانت لها اليد الطولى في نجاح المشروع الإحتلالي الفرنسي على الجزائر سنة 1830، سيما بعد الأدوار التجارية المشبوهة لهذه الأقلية، وعلاقتها المباشرة بأزمة الديون الجزائرية نحو فرنسا، والأهم من هذا كله هو الموقف غير المشرف الذي إتسمت به الأقلية إزاء الثورة الجزائرية، بالرغم من قيم العفو، التسامح ونسيان الماضي، التي أعلنتها الثورة التحريرية دستوراً ومنهجاً للتعامل معهم في الجزائر الحرة والمستقلة؛ إنها الأقلية اليهودية.

الكلمات المفتاحية:

الثورة الجزائرية؛ الاستعمار الفرنسي؛ الأقلية اليهودية؛ الشريعة الإسلامية.

Abstract :

trying to study history, Research shedding light on one of the important issues during the French colonial period for Algeria, Especially during the period of the Algerian liberation revolution 1954-1962, This concerns the position of the Jewish religious minority on the Algerian issue in general and the liberation revolution in particular. The focus is also on the Algerian revolution's treatment of them, based on the regulations approved by Islamic Sharia in the treatment of religious minorities settled in Muslim countries.

Keywords: Algerian Revolution; French colonialism; the Jewish minority; Islamic law.

واحكام السيطرة على الجزائر التي منحتهم الأمن والسلام طيلة فترة استقرارهم بها، أو حتى من أولئك اليهود الذين نجتهم الجزائر من حملات التعقب الاسبانية عقب سقوط عاصمة المسلمين في الأندلس، ليتواصل مسلسل الخيانة اليهودي للوطن الحاضن، مترجماً في الموقف السليبي الذي اتخذ هؤلاء من الثورة التحريرية 1954، ورفضهم لفكرة الدولة الجزائرية المستقلة المنفصلة عن فرنسا، وهذا ما ترجمته المشاركة الواسعة ليهود الجزائر في الجرائم التي ارتكبتها منظمة الجيش السري O.a.S في حق الجزائريين والمساندين لحريتها، سيما بعد اتفاق وقف إطلاق النار في 19 مارس 1962 بين جبهة التحرير الوطني والحكومة الفرنسية.

وانطلاقاً من ذلك فقد حاولت هذه الدراسة تجلية بعض النقاط الغامضة، حول تواجد الأقلية اليهودية بالجزائر وإبراز مواقفها عبر المحطات الرئيسية التي مرت بها البلاد، من خلال طرح التساؤلات التالية:

- 1- ماهي الجذور التاريخية للأقلية اليهودية في الجزائر؟
- 2- ما هو الدور الإقتصادي الذي لعبه يهود الجزائر خلال العهد العثماني؟ و ما علاقته بالإحتلال الفرنسي للجزائر؟

مقدمة:

لطالما كانت الجزائر طيلة الفترات التاريخية، جامعةً وحاضنةً لعديد العقائد والأقليات الدينية وسط المجتمع الجزائري، مشكلةً فسيفساءً اجتماعية وثقافية انصهرت في بوتقة الدولة الجزائرية عبر العصور التاريخية التي سبقت حلول الإسلام بها، وما زاد من هذا التلاحم والتسامح العقائدي على هذه الأرض الطيبة، هو وصول الفاتحين المسلمين الذين ملأوا الدنيا عدلاً ورحمةً، متأسين بسيرة ونهج المصطفى صلى الله عليه وسلم، الذي سامح وتسامح وعفى عن هؤلاء الذميين، واستمر هذا التمازج والتعايش بين الأقلية اليهودية والمسلمين طيلة الفترة الإسلامية والدويلات التي تعاقبت بعدها، وحتى دخول العثمانيين الأتراك الى الجزائر، والذين حافظوا على العلاقة القائمة بين الطرفين، هذه الأقلية التي قابلت احتواء الجزائر لها بخيانة الثقة، لتصبح معولاً في يد الإستعمار الفرنسي للقضاء على الجزائر وأهلها، هذا الذي اخترق الموروث الإجتماعي والإقتصادي والثقافي للمجتمع الجزائري، وأحدث شرخاً كبيراً في بنية المجتمع الجزائري المسلم.

إذ دأب الإستعمار على استغلال هؤلاء اليهود للسيطرة على الجزائريين ومعرفة كل صغيرة وكبيرة عنهم،

3- ما هو موقف الأقلية اليهودية من الثورة التحريرية؟ وما مصيرهم عقب وقف إطلاق النار والإعلان عن استقلال الجزائر؟

1- نبذة تاريخية حول الأقلية اليهودية وتواجدها في الجزائر:

إن المتتبع لأصول وجذور الأقلية (1) اليهودية وبداية تواجدها بالجزائر، ليقف على اختلاف واضح بين المؤرخين حول زمن وصول اليهود الى الجزائر، فمنهم من يرجعه الى الفترة الفينيقية ومنهم من ينسبه الى العهد الروماني، إلا أن المتفق عليه بين هؤلاء المؤرخين أن الحضور اليهودي في بلاد الشمال الإفريقي عموماً، وفي الجزائر تحديداً كان ملازماً للهجرات التجارية التي تميز بها هؤلاء اليهود في تاريخهم، خاصة بعد تفرقهم وتشتتهم في الأرض، إثر الإنقسام والضعف الذي حل بهم بعد تفككهم الى مملكتين متناحرتين فيما بينهما، وهما مملكتي "إسرائيل" التي استولى عليها الآشوريون وقضوا على أهلها في سنة 722 ق.م، لتليها بعد أقل من قرنين الضربة القاصمة التي حلت باليهود عامة ومملكة يهوذا بصفة خاصة، بعد السقوط والاندثار الذي حل بمملكتهم الثانية "يهودا" (2) من طرف القائد البابلي الشهير "نبوخذ نصر"، هذا الذي نكل باليهود وأهانهم شر إهانة بإستيلائه على القدس وتحطيم هيكل سليمان وسي أهلها الى بابل، وأعلن شهادة ميلاد لعصر جديد في تاريخ اليهود اسمه "عصر يهود الشتات" (3).

ويرجح المؤرخون القدامى أن ما حل باليهود من مصائب ومحن وشتات، كان نتيجة حتمية لما آلت إليه إنحرافاتهم عن جادة الصواب، حتى تأكد فيهم

الإنذار الإلهي الذي وجه لهم من قبل سيدنا موسى عليه السلام قائلاً: "إذا ولدتم أولاداً وأولاداً أولاداً، وأطلتم الزمان في الأرض، وأفسدتم وصنعتم تمثالا منحوتاً صورة شيء ما، وفعلتم الشر في عيني الرب إهكم لإغاظته، أشهد عليكم السماء والأرض أنكم تبيدون سريعاً عن الأرض التي أنتم عابرون الأردن إليها لتمتلكوها، لا تطيلون الأيام عليها بل تهلكون لا محالة" (4).

في حين أشارت رواية أخرى، أن هؤلاء اليهود قد تمكنوا من ملمة شتاتهم بعد ما أصابهم من بطش البابليين، أين تمكنوا من الرجوع الى القدس وبناء معبد ثان بها سنة 66م، إلا أن نهجهم في معادات المسيح ومناهضتهم له، كانت سبباً في ثورة العالم المسيحي ضدهم، أين أمر الإمبراطور الروماني "تيتوس" تحت ضغط المسيحيين بتجهيز حملة للإستيلاء على القدس والقضاء على اليهود المستقرين بها، ولما وصل إليها أقدم الإمبراطور الروماني على تحطيم هيكل سليمان وجعل من القدس بلداً محرمة على بني إسرائيل طيلة حياتهم (5)، كما عمل على بعثت اليهود ونفيهم الى مناطق عديدة من العالم، حتى أن من بينهم من اتجه نحو مناطق شمال إفريقيا للإستقرار والعيش بها (6).

2- الدور الإقتصادي لليهود في العهد العثماني وعلاقته بالإحتلال الفرنسي للجزائر:

ظل الإستقرار والتعايش بين الأهالي الجزائريين وفئة الأقلية اليهودية، الصفة الغالبة على المجتمع الجزائري طيلة أربعة عشر قرناً بداية من الفترة التي أعقبت حلول هذه الأقلية بمناطق شمال إفريقيا في القرن الأول للميلاد، والى غاية القرن 15م أين طرأت العديد من المستجدات

وأحكامه، وقد انقسمت شروط عقد الذمي الى قسمان، شروط مستحقة لازمة وشروط مستحبة .

❖ أما الشروط المستحقة اللازمة فهي:

أ- أن لا يذكر كتاب الله، بطعن فيه ولا تحريف.

ب- أن لا يذكر رسول الله (ص) بتكذيب ولا إزدراء.

ج- أن لا يذكر دين الإسلام، لا بذمة ولا بقده.

د- أن لا يصيبوا مسلمة بزنا، ولا بإسم نكاح.

هـ- أن لا يفتنوا مسلما عن دينه، وألا يعينوا أهل الحرب.

❖ أما الشروط المستحبة فهي:

أ- ضرورة تغيير هيئاتهم بلباس مغاير عن لباس الأهالي الجزائريين.

ب- أن لا تعلقوا بناياتهم على بنايات المسلمين.

ج- أن لا يسمعو المسلمين أصواتهم ولا أجراس نواقيسهم

د- أن لا يجاوروا المسلمين بشرب خمر أو بإظهار صلبانهم وخنازيرهم.

هـ- إخفاء دفن موتاهم وعدم إظهار البكاء أو النياحة عليهم.

و- اليهود ممنوعون من ركوب الخيل، أما البغال والحمير فلا حرج في ذلك عليهم.(11).

التي مست في الصميم الأوضاع الخارجية والداخلية للبلاد، فإنهايار السلطة الجامعة في المغرب العربي ممثلة في سلطة دولة الموحدين كان لها الأثر الجلي في تقهقر الإستقرار الإجتماعي السائد بالمنطقة منذ فترات طويلة، لاسيما بعد بروز معالم التطاحن الإقليمي والعائلي بين الكيانات السياسية الناشئة على أنقاض هذه الأخيرة من أسر المرينية والزيرية والحفصية(7).

أما على المستوى الخارجي، فإن لتحول طرق التجارة العالمية من البحر الأبيض المتوسط الى طرق أخرى بديلة، صفحة أخرى من الصفحات الجديدة التي شهدتها الدول الأوروبية، خلال رحلاتها الكشافية للتعرف على العالم ومن ثمة السيطرة عليه(8)، وهو ما جسده إسبانيا في حربها ضد الحضور الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية، بسقوط آخر معقل إسلامي في الأندلس وتهاوي الممالك الإسلامية بعد ذلك كأوراق الخريف، مما كان دافعا لفرار بقايا المسلمين ومن معهم من اليهود خوفا من البطش والتنكيل، الذي طاهم من الإسبان تحت لواء الإنتصار للمسيحية واسترداد ماضيها بالمنطقة(9).

هذه الظروف السابقة مهدت لظهور قوى إسلامية جديدة في المنطقة، ممثلة في القوى العثمانية التي ساهمت في رد الحملات الإسبانية، وبث الطمأنينة والسكينة لدى أولئك الفارين من جحيم حملات التعقب المسيحية، التي طالتهم في حوض البحر الأبيض المتوسط وإرساء دعائم النظام بها(10). مما ساهم في إرساء السلم والأمن في الجزائر، إلا أن الدولة العثمانية قد فرضت على الأقلية اليهودية، دفع الجزية بإعتبارهم من أهل الذمة، وفي ذلك عمل بالشرع الإسلامي

ورغم هذه الشروط التي فرضت على اليهود بإعتبارهم من أهل الذمة، فإن ذلك لم يمنعهم من الإندماج في المجتمع والتأثير فيه بصورة كبيرة، مما انعكس بشكل إيجابي على النشاط الإقتصادي والتجاري لليهود، الذين أضحووا فئة هامة وطائفة متميزة في المجتمع بحكم سلوكياتهم ونشاطهم التجاري فيه. إذ سيطر هؤلاء اليهود على أهم مفاصل التجارة والأموال في الجزائر واحتكارها وحرمان الاهالي من مزاولتها ، حتى أنهم استخدموا كافة الحيل والدسائس المشروعة وغير المشروعة في سبيل الوصول الى مآربهم الخاصة(12).

وقد شكل اليهود فئة اجتماعية قائمة بذاتها لما لها من مكانة اجتماعية واقتصادية وحتى سياسية في أوساط المجتمع الجزائري، أين انقسموا الى ثلاث فئات رئيسية:

- ❖ أولها: طائفة الطوشافيم وهم اليهود القدماء أو اليهود الاهالي الذين سكنوا الجزائر قبل حلول اليهود الوافدين من الأندلس.
- ❖ ثانيها: طائفة الميغورشم وهم اليهود المطرودون من الأندلس عقب إستيلاء المسيحين الإسبان عليها سنة 1492.
- ❖ ثالثها: طائفة يهود ليفورن وهم اليهود الوافدون من مدينة ليفورن الإيطالية(13).

وبغض النظر عن الطائفة التي ينتمي إليها يهود الجزائر من هذه الفئات الثلاث، فإن دورهم الإقتصادي والتجاري في المجتمع الجزائري كان هاماً وفعالاً في آن واحد، الى درجة أنهم سيطروا على مختلف الشركات التجارية واحتكروا منتجاتها الأساسية، مسيطرين بذلك على الاسواق الجزائرية ومستغلين حاجة الاهالي الجزائريين للمنتجات والسلع الضرورية(14)، ومما زاد في

مكانة اليهود وحظوتهم لدى حكام الجزائر علاقات البيع والشراء المتبادلة بين التجار اليهود والدولة الجزائرية، حتى أضحت غنائم الجيش سلعاً مخصصة لكبار تجار اليهود، إضافة الى دور السمسرة والوساطة التي كانت علامة بارزة في تعاملات اليهود مع الاهالي الجزائريين، وحتى في تعاملهم مع الحكام العثمانيين أنفسهم، حتى قيل في وصف الوضع القائم في البلاد، أنه: " قد أصبح من الصعب على العربي أو الجزائري أن يبيع دجاجتين دون وساطة يهودية"(15).

هذه الأدوار الرئيسية التي أضحي اليهود أهلاً لها في نظر حكام الجزائر من العثمانيين، كانت سبباً مباشراً في جر الدولة الجزائرية الى مستنقع وحل، من الإتفاقيات والمعاهدات التي لا فائدة ترجى من ورائها ولا طائل، ذلك ما كان مجالا خصباً لبروز العديد من الدسائس والمؤامرات، التي حيكت بليل ضد الجزائر من قبل كثير من الدول الأوربية، كفرنسا واسبانيا والولايات المتحدة الأمريكية التي كانت تسعى للنيل من خطر وقوة المسلمين في شخص الجزائر المتحالفة مع الأتراك العثمانيين، إيالة الجزائر كانت ب"نيتها" الزائدة عن اللزوم وتغليب المصلحة الشخصية لحكامها العثمانيين(16)، تُجر غير مدركة نحو حتفها من طرف التجار والسماسرة اليهود(17)، هؤلاء الذين كانوا سبباً مباشراً في تأزم العلاقات بين الجزائر والحكومة الفرنسية، من خلال تخصيصهم من قبل القنصل الفرنسي بمهمة البحث عن الذرائع والمبررات التي من شأنها تفجير الأزمة بين الطرفين(18)

وسعيًا في تنفيذ المهمة الموكلة للتاجرين اليهوديين بكري المعروف بإسم (ابن زاهوت) وبوشناق المكنى (بوجناح)(19) من قبل القنصل الفرنسي، فقد

سأهما بعلاقاتهما القائمة على المكر والدهاء في شؤون التجارة وربط العلاقات المشبوهة، بالإتفاق مع الفرنسيين بأهمية الصفقة التجارية الراجحة مع الجزائر، من خلال استيراد القمح الجزائري من شركتهما الخاصة مع تأجيل السداد، حتى تضخمت ديون الفرنسيين لهذه الشركة حتى وصلت 24 مليون فرنك، وأصبحت الحكومة الفرنسية عاجزة عن تسديد ديونها، وقد قامت هذه الأخيرة تحت الضغط بتسديد أكبر نسبة ممكنة من هذه الديون حتى بلغت سبعة مليون فرنك، وبعد تواطؤ من الشركة اليهودية للحبوب مع القنصل الفرنسي آنذاك، إرتأت الحكومة الفرنسية دفع مبلغ مليون ونصف المليون المستحقة للتاجران اليهوديان، والإحتفاظ بالمبلغ المتبقي حتى تسوية وضعية الشركة اليهودية للديون الفرنسية العالقة عليها(20) وهي المهمة التي انتهت الى ما كان يصبوا إليه هذا الأخير، ونجاح مهمة القنصل في التحضير للحدث الموعد الذي نفس العلاقات الفرنسية الجزائرية، في حادثة المروحة الشهيرة في 24 أفريل 1827، التي أظهر فيها القنصل الفرنسي دوفال خاتمة جهوده مع التاجرين اليهودين، واستفزاز حاكم الجزائر الداوي حسين عند مطالبته بالديون المستحقة للجزائر على الفرنسيين بالقول: " لن تكتب حكومي إليك أبداً، إن هذا غير مجد إن الوزير أو الملك لن يرأسل من هو دونه من غير واسطة"(21)، ليتحقق حلم الفرنسيين بإحتلال الجزائر بعد ثلاث سنوات من هذه الحادثة في 05 جويلية 1830.

3- الأقلية اليهودية: موقفها من الثورة

التحريرية ومصيرها بعد إستقلال الجزائر:

بعد أن فرض الواقع الإستعماري الفرنسي نفسه في الجزائر، وتمكنت الجيوش الإستعمارية الفرنسية من

السيطرة على مقرات السلط الحكومية في الدولة الجزائرية(22)، واستحكام السيطرة على الأهالي الجزائريين بقوة الحديد والنار، خرج اليهود من منازلهم وجحورهم، وعاد من عاد منهم من الجبال بعد أن فشلت مقاومة الجزائريين في صد المحتلين الغزاة، في استقبال الجيوش الفرنسية بفرحة كبيرة يقبلون أرجل وأيادي الجنود الفرنسيين، في مشهد مفرز أثار حفيظة الجنود الفرنسيين قبل الجزائريين، فهذا جندي فرنسي يصف موقف اليهود عند أول قدم للفرنسيين على أرض الجزائر قائلاً: " خرج اليهود في استقبالنا فرحين مبتهجين، ونظراً لأنه كان محرماً عليهم ارتداء غير الثياب السود والزرق الغامقة، فقد ارتدى بعضهم قلنسوات، وراحوا يجوبون الشوارع راكبين البغال...، وكانت أصوات هذا الشعب القذر تتعالى بمتافات" فيفا لافرنسيس... يجيا الفرنسيون"(23).

وبالرغم من أن الفرنسيون كانوا على علم مسبق بالخيانة التي أقدم عليها اليهود تجاه الأهالي الجزائريين، إلا أنهم لم يجدوا بدا من التعاون معهم، بل ومساندتهم المادية والمعنوية حتى يكونوا عيناً ووعوناً لهم في السيطرة على الأهالي الجزائريين(24)، ولا أدل على ذلك من إقدام السلطات الفرنسية على منح الجنسية الفرنسية لجميع الأقليات اليهودية بالجزائر، من خلال المرسوم الذي استصدره المسؤول الأول عن الشؤون الجزائرية في حكومة الدفاع الوطني السيد "أودلف كريميو"، في 24 أكتوبر 1870 والمعروف بإسم " مرسوم كريميو"، هذا المرسوم الذي سمح لليهود "بالحصول على الجنسية الفرنسية، والتمتع بنفس الإمتيازات التي للرعايا الفرنسيين، دون إجبارهم على التخلي عن عقيدتهم أو حقوقهم المدنية"(25)، ليزداد

"كلجنة 8 نوفمبر" و"الحركة البوحدية"، والخوف الذي أصاب فئة اليهود جراء هذه العمليات الإنتقامية(29)

ورغم أن الثورة الجزائرية قد "طمأنت ووعدت وترجت اليهود بالبقاء، والشعب الجزائري المسلم سامح وتسامح"(30)، إزاء كل ما بدر منهم خلال المراحل السابقة، ضامنة لهم الثورة حظهم من السعادة في ظل الجزائر المستقلة(31)، إلا أن اليهود كان لهم رأي آخر إما صمتاً أو رفضاً لمقترح جبهة التحرير الوطني، حسب ما ذكر رئيس الحكومة المؤقتة الجزائرية السيد بن يوسف بن خدة الذي ذكر قائلاً بشأنهم: "ما كانش موقف رسمي...بقوا ينتظرون، ولم نعرف لهم موقفا واضحا وحاسما تجاه الثورة..."(32)،

هذا التردد في موقف اليهود إزاء الثورة الجزائرية، لم يكن بمعزل عن التأثيرات الخارجية التي كان لها يد في توجيه مواقف اليهود السياسية في الجزائر، فالمنظمات اليهودية الناشطة في فرنسا أعلنت اهتمامها بيهود الجزائر منذ 1956، حيث أصدرت "لجنة اليهود الجزائريين للدراسات الإجتماعية" بيانا على لسان أمينها العام "جاك لازار" يدعوا فيها التنظيمات اليهودية في الخارج، تجنب الوقوع في أي فخ محتمل أو تصريح غير مسؤول حول مستقبل اليهود في شمال إفريقيا، وإلتزام الصمت حتى يتبين مآل الوضع في هذه البلاد (33).

هذا الصمت الذي ميز موقف الاقلية اليهودية إزاء القضية الجزائرية، كسرتة النداءات المتكررة التي وجهتها مجموعة من المثقفين اليهود، بدعوتها الصريحة لهذه الفئة بالإنضمام الى مشروع الثورة، والإرتقاء في أحضان الدولة الجزائرية المستقبلية، منوهين في الوقت

هؤلاء اليهود بعد هذا الإجراء الحكومي للسلطات الفرنسية، من احتقارهم للمسلمين الجزائريين والتطاول عليهم والخط من مكانتهم وكرامتهم، وكدليل على ندالة اليهود وحقدهم على الأهالي الجزائريين، ذكر "مولود بن باديس" في صحيفة "صدى الأهلي" أن: " اليهودي عندما يسأل يهوديا آخر ، كيف حالك؟ يجيبه هذا: " على أحسن ما يرام، محمد يمسح أحذيتي، وفاطمة تغسل أرض منزلي".(26)

وقد ظل الوضع السائد بين اليهود والأهالي الجزائريين، على ما هو عليه من احتقار للأهالي بدعم من الإدارة الإستعمارية، الى غاية اندلاع الثورة التحريرية في الفاتح نوفمبر 1954، التي أثرت الأقليات عموما بمستقبل أخوي ومتسامح في مشروعها الثوري، وهم الذين شكلوا ما يفوق خمس السكان من غير المسلمين في المجتمع الجزائري(27)، وبالنظر لهذا العدد الكبير من اليهود بالجزائر، فقد خصتهم الثورة التحريرية بمزية طي صفحة الماضي الأسود، الذي اقترفوه في حق الأهالي وفتح صفحة بيضاء جديدة معهم، تقوم على نسيان الماضي وبناء مستقبل أخوي ومتسامح معهم، وفي ذلك اسقاط واضح لمبادئ وتعاليم الشريعة الإسلامية السمحة(28).

وفي الوقت الذي تردد فيه اليهود في اتخاذ موقف واضح إزاء الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى، جاء ميثاق الصومام مؤكداً النوايا الإنسانية ومشروع السلم المأمول معهم، مذكرا إياهم بموقف فرنسا التاريخي نحوهم والجرائم التي طالتهم عقب المظاهرات الاستعمارية ضدهم، وهي التي رأت أنه من مصلحة الاوربيين القضاء على الجنس السامي وإبادته، وخاصة الفئات اليهودية التي أظهرت العصيان للحكومة الفرنسية

ذاته بالأسلوب الإنساني الراقي والحضاري، الذي ميز موقف الثورة إزاء جميع الأجناس والأقليات الذميمة، بما فيهم فئة اليهود، وحول ذلك فقد أصدر إتحاد اليهود المثقفين في الجزائر، بيانا جاء فيه: "...ما يزال الوقت أمامنا لنعود الى المجموعة الجزائرية، فإن التعلق بصفة المواطن الفرنسي المفتعلة هو خديعة، في الوقت الذي تتكون فيه الأمة الجزائرية الحديثة والفتية والقوية، ونعلم أيضا أن مسلمين ويهود قد كشفوا في كفاحهم المشترك عن أخوة في العرق، وأنهم يحسون بتعلق عميق ونهائي بالوطن الجزائري، وإنما إذ نصرح بتعلقنا بالأمة الجزائرية نعمل على إبطال الحجة التي يستخدمها المستعمرون..." (34).

هذه النداءات المتكررة التي وجهها اليهود المثقفون بالجزائر، الى باقي الفئات اليهودية الأخرى بالإنضمام الى الثورة الجزائرية، كانت محاولة لصد باقي الفئات المشككة لهذه الأقلية من الإنصياع للدعاية الفرنسية التي حاولت إستمالة اليهود في صفها، سيما بعد وصول أبناء عن عناصر يهودية، تورطت في ارتكاب جرائم واغتياالات بمعية مجموعة من المستوطنين الأوروبيون ضد الجزائريين، وبعض من أنصار القضية الجزائرية والمساهمين في تسريع عملية الإستقلال في داخل الجزائر كما في خارجها، ضمن إطار ما يعرف بـ"منظمة الجيش السري O.a.S"، من أجل تجسيد عملي للمشروع الصهيوني الهادف الى تحويل الجزائر الى مستعمرة

يهودية أو إسرائيل جديدة في الشمال الإفريقي (35).

وبالرغم من التجاوزات والجرائم التي اقترفتها الأقلية اليهودية ضد الجزائرية في المرحلة الإنتقالية من عمر الثورة التحريرية، فإن هذه الأخيرة كانت متسامحة وإنسانية معهم الى أبعد الحدود، بتخييرهم بين البقاء كجزائريين أو الإستقرار كرعايا تحفظ لهم حقوقهم وكرامتهم من جهة أو الرحيل بصفة نهائية، فكان للأقلية اليهودية أن اختارت الرحيل بصفة جماعية، خوفا من عقدة الجرائم والتجاوزات التي اقترفوها في حق الجزائريين.

خاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة نستنتج أن ظهور الأقلية اليهودية في الجزائر، له جذور وامتدادات تاريخية موعلة في القدم، تعود الى الموجات الإستعمارية القديمة (الفينيقية، الرومان، القرطاجيين) التي استقدت وآوت الأقليات اليهودية على الأرض الجزائرية، وبعد أن فتحت بلاد المغرب على أيدي المسلمين الفاتحين الذين طبقوا تعاليم الإسلام على اليهود في الجزائر، أين تم تخييرهم بين الدخول في الإسلام أو البقاء على عقيدتهم مع دفع الجزية والإقرار بحال أهل الذمة على أرضها.

ليتواصل حضور اليهود في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، في الفترة التي برز فيها كقوة اقتصادية وتجارية هامة، مكنتها من ولوج مجالس

- 6- فوزي سعد الله: المرجع السابق، ص. 26.
- 7- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998، ص. 41.
- 8- عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين: التاريخ الأوربي الحديث، دار الفكر العربي، د.م.ن، 1999، ص. 56.
- 9- سهيلة دهمش: العادات الإحتفالية - مساهمة في التاريخ الديني والإجتماعي للمغرب الاوسط الزياني-، رسالة ماجستير، إ: مفتاح خلفات، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، 2016، ص. 103.
- 10- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ط2، ج2، دار مكتبة الحياة، لبنان، 1965، ص. 222.
- 11- فوزي سعد الله: المرجع السابق، ص-ص، 47-48.
- 12- الجباري عثمان: النشاط الإقتصادي لطائفة اليهود في مدينة الوادي أواخر القرن 19- على ضوء وثائق المحاكم الشرعية-، مجلة البحوث والدراسات، ع14، السنة 09، جامعة الوادي، الجزائر، 2012، ص. 306.
- 13- بريم كمال، خميسي سعدي: النشاط الإجتماعي لليهود بوسعادة خلال فترة الثلاثينات من القرن 20م -مظاهر وأبعاد-، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع14، جامعة الوادي، الجزائر، ص. 100.
- 14- صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، ط2، دار هومه، الجزائر، 2007، ص. 189.
- 15- عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997، ص. 75.
- 16- جمال قنان: العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790-1830، منشورات anep، الجزائر، د.ت، ص. 280.
- 17- صالح فركوس: تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ الى غاية الإستقلال-المراحل الكبرى-، دار العلوم، الجزائر، 2005، ص. 180.
- 18- فوزي سعد الله: المرجع السابق، ص. 256.
- 19- محمد الطيب العلوي: مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954، ط3، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، د.ت، ص. 31.

السياسيين ومجاورة الحكام العثمانيين وصحبتهم، حتى باتوا من صناع القرار وأهل الحل والعقد في مصير البلاد والعباد، الى أن حلت بالجزائر المكائد والمصائب جراء كيدهم ومكرهم، إذ راحوا يباركون الإستعمار الفرنسي في الجزائر، ويتنكرون لحسن العشرة التي خصهم بها أهالي الجزائر منذ زمن بعيد، وعند اندلاع الثورة التحريرية دعتهم هذه الأخيرة الى طي صفحة الماضي وبداية عهد جديد تعمه قيم المساواة والتآخي وروح التسامح مع أولئك اليهود، إلا أن عقدة الذنب ظلت تطاردهم وتذكرهم بالجرائم التي اقترفوها في حق الجزائريين، فظلوا يتمسكون بحلم الجزائر الفرنسية حتى تبددت أحلامهم واندثرت آمالهم، بعد استيقاظهم في يوم 05 جويلية 1962 على كابوس اسمه الجزائر المستقلة.

الهوامش:

- 1- جاء في تعريف الأقلية: "أما مجموعة من السكان في قطر أو إقليم أو دولة ما، بحيث تخالف هذه المجموعة الأغلبية في الإنتماء العرقي، اللغوي والديني، دون أن يعني ذلك أو يلزم موقفا سياسيا وطبقيا متميزاً". ينظر: الهادي دوش: الأقليات ومشكلة بناء الدولة الوطنية، مجلة البحوث والدراسات، ع08، المركز الجامعي الوادي، الجزائر، السنة 06، جوان 2009، ص. 117.
- 2- يعود الإسم الحالي لليهود الى قبيلة "يهودا" من بني إسرائيل، والتي ذكرت المصادر أنها قد أيدت من طرف البابليين بقيادة قائدهم الشهير "نوخذ نصر". ينظر، إبراهيم خليل أحمد: إسرائيل فتنة الأجيال، دار الوعد العربي، مصر، 1969، ص. 123.
- 3- فوزي سعد الله: يهود الجزائر -هؤلاء المجهولون-، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2004، ص. 26.
- 4- إبراهيم خليل أحمد: المرجع السابق، ص. 123.
- 5- في حين أن رواية أخرى تشير الى أن الفرس هم من سمحوا لليهود بالعودة الى فلسطين وإعادة بناء الهيكل بها، شريطة أن يصبحوا عملاء الإمبراطورية الفارسية، لحماية مصالحهم في مصر. ينظر: إبراهيم خليل أحمد: المرجع السابق، 126.

- 20- محمد زروال: العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791-1830، دار
دحلب للنشر، الجزائر، د.ت، ص.25
- 21- محمد زروال: المرجع نفسه، ص.85
- 22- فوزي سعد الله: المرجع السابق، ص.274
- 23- فوزي سعد الله: المرجع نفسه، ص.275
- 24- أحمد سميح حسن إسماعيل: الإستيطان اليهودي في الجزائر
1919-1962، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص.95.
- 25- عمار بوحوش: المرجع السابق، ص.157
- 26- محمد الطيب العلوي: المرجع السابق، ص.142
- 27- فرانز فانون: العام الخامس للثورة الجزائرية، ط1، منشورات
anep، الجزائر، 2004، ص.164
- 28- البخاري حمادة: فلسفة الثورة الجزائرية، ط1، دار الغرب للنشر،
الجزائر، 2005، ص.129
- 29- وزارة الإعلام والثقافة: النصوص الأساسية لجهة التحرير الوطني،
الجزائر، 1979، ص.44
- 30- فوزي سعد الله: المرجع السابق، ص.06
- 31- وزارة الإعلام والثقافة: المصدر السابق، ص.45
- 32- نصر الدين لعوج: الأسس الإيديولوجية والأبعاد الحضارية للثورة
الجزائرية 1954-1962، أطروحة دكتوراه، إ: محمد مجاود، قسم
التاريخ، جامعة الجليلي اليابس-سيدي بلعباس، الجزائر، 2012-
2013، ص.445
- 33- أحمد سميح حسن إسماعيل: المرجع السابق، ص.207
- 34- نصر الدين لعوج: المرجع نفسه، ص.446
- 35- البخاري حمادة: المرجع السابق، ص.128